الثقافة العربية الراهنة وآفاق تطورها

في مواجهة أشكال الغزو الثقافي

فوزي البشتي

عرف الوطن العربي الظاهرة الاستعمارية بكافة أشكالها وصورها ومساراتها ولقد ظل النمط الاستعماري الفعال والمسيطر وسط هذا التعدد، هو النمط الاستعماري الذي يستهدف الثقافة العربية، ويحاول جاهداً افراغها من كافة محتوياتها الايجابية وتثبيت الهيمنة لجوانبها السلبية القاصرة، وأنا أعني بذلك تلك الصور الغربية التي زرعت في قلب الثقافة العربية وفي عمق وجدان المواطن العربي.

وقد أدى تواجد هذه العوامل الثقافية الغربية إلى وجود مجموعة من المداخلات الثقافية قادت في نهاية المطاف ومع استمرار الرمن، وتكاثف الجهود الاستعمارية إلى تثبيت مجموعة من البصمات الفكرية والسلوكية والحضارية في جسم الثقافة العربية بهدف احداث ترهل وسكون واحباطات متعددة تؤدي في نهاية المطاف إلى هيمنة الجراثيم الغربية وسيطرتها. وخلق فجوات وهوات ثقافية تشكل ممرات ومناطق استقرار داخل نفسية المواطن العربي لكي يجد نفسه في النهاية قابلاً لوضعه الجديد، مجرد إنسان مستلب فقد ارتباطه بكل جذوره الحضارية والفكرية، حتى يكون صالحاً لاستخدامه كأداة لتنفيذ المخططات الاستعمارية التي نحتت على مهل وفق ما عليه مصالح الاستعمار الاقتصادية والاجتماعية. ولكي لا نقع في خطأ التعميم، فإننا لا بد أن نلاحظ بأن المقصود بالإشارة إلى خطورة الثقافة الغازية لا يعني الاتصال الثقافي بين المجتمعات الإنسانية، فذلك ضرورة لا يستطيع أي مجتمع إنساني أن يستغني عنها لأن هذا الاتصال يهدف بالدرجة الأولى إلى خلق عملية تلاقح وامتزاج واستفادة وتكامل بين الثقافات الانسانية المختلفة.

إذن ما الذي نعنيه بالثقافة الغازية، وما هي الدوافع التي تدفعنا إلى ادانتها وكشف اقنعتها والتنبيه إلى خطورتها وتأثيراتها السلبية الهدامة؟

بديهي، أن الثقافة الغازية، هي تلك الثقافة التي لا تهتم بمسألة الاتصال الثقافي وأهميته في نقل المعرفة الإنسانية بين مجتمع وآخر، وإنما تهتم بالدرجة الأولى بعملية غزو ذلك المجتمع الآخر واخضاعه لمفاهيمها واطرها مستغلة ما يسميه المفكر الجزائري « مالك بن نبي » بـ « ظروف القابلية للاستعمار ».

وبالتالي فإن الهدف الأول للثقافة الغازية هو إيجاد القابلية لدى المواطن العربي للاستجابة إلى رنين الأجراس الآتية من كل جهة أو مكان تتواجد فيه الظاهرة الاستعمارية، ذلك أن مخططاتها تقوم في الأساس على خلق الاستعداد لدى الإنسان العربي، للانسلاخ عن جذوره وتقبل وضعه المستلب الجديد بعد مرحلة طويلة من غسيل المخ المتواصلة، وفق برامج تسهم فيها كل أجهزة الاستعمار الثقافية والسياسية.

* * *

ولكي نقيم الدليل على استمرار هذه المخططات والبرامج فإننا يمكن أن نبرز التجربة التي قام بها عالم النفس الأمريكي « بواز » بتكليف وتمويل من أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية. حتى نكشف طرائق الغزو الثقافي ونكشف بالتالي تلك الاقنعة الزائفة التي تختبىء خلفها مقولات وقيم السلطة السياسية الاستبدادية في الوطن العربي، والتي تهدف وتسعى جاهدة إلى تثقيف المواطن العربي بطريقة يتلاءم فيها سلوكه اليومي مع الغايات القريبة والبعيدة للاجهزة السياسية الحاكمة في الوطن العربي. والمؤسسات الاستعمارية التي تصنع هذه الأجهزة الحاكمة وتمولها بكل ما تملكه من امكانيات إلى تثبيتها وتأمين سبل بقائها واستمرارها من أجل تكريس أساليب هيمنتها وخلق ضمانات البقاء لطغيانها واستبدادها، وحتى يبقى الوطن العربي في شراكها وتحت سطوتها إلى الأبد.

* * *

أحضر « بواز » مجموعة من الفئران البيض إلى مخبره النفسي، وخلال فترة زمنية محددة مسبقاً قام بدراسة السلوك اليومي للفئران واتجاهاتها ونمط حياتها وسبل تعاملها مع حاجاتها، وعرف أن الفئران البيض لا تأكل الطعام في وضح النهار!! وإنما تلجأ إلى المناطق المظلمة في دهاليزها، وهناك تشرع في تناول ما تحتاج إليه من طعام بهدوء ويقين نفسي تام.

كان سؤال « بواز » لنفسه: ما العمل لتغيير دوافع الفئران والزامها بتناول طعامها في وضح النهار؟

وتوفرت القناعات لدى « بواز » بأن عملية التخلي

والاكتساب، التخلي عن السلوك الفطري واكتساب السلوك الجديد المراد لتغيير حياة الفئران، باعتباره نمطاً من انماط السيطرة والتوجيه، يحتاج إلى إعادة النظر في عناصره ودراسته دراسة تتطلب الوقت والجهد والمشقة لكي تتحقق النتيجة المطلوبة، وتتم من خلالها إعادة صياغة الافعال وردود الأفعال عند الفأر موضع التجربة، وتنشئته تنشئة جديدة، بحيث تتفق هذه التنشئة مع ما يريده «بواز» في شخصية الفأر من اتجاهات ودوافع وسلوك.

وهكذا وجد «بواز» نفسه أمام اختيارات جديدة ومحددة في مهمته الصعبة، فقد كان مطالباً بالوصول إلى نتيجة حاسمة تتعلق بالنجاح في القيام بعملية غسيل دماغ للفأر الأبيض، ثم مده بمجموعة من العناصر ليعيد تكوين شخصيته بحيث يصبح الفأر مستعداً ولديه القابلية دونما ارغام، لتناول طعامه الموجود في المنطقة المضيئة.

وكان على «بواز» كلما تقدم الفأر لتناول طعامه الموجود في الغرفة المظلمة، أن يوجه إليه الصدمة، وإذا استقر «الفأر» فترة من الزمن في المنطقة البيضاء، وجه إليه «بواز» صدمة كهربائية، أخرى وهكذا دواليك.

★ ★ ★

ماذا كان يريد «بواز» من خلال توجيه هذه الصدمات إلى «فأره» الأبيض؟

لقد كان يريد تأريه وبلبلة غرائزه وتفكيره ووضعه في حالة من الفوضى والضياع بحيث يصل «الفأر» إلى قناعة بأنه لا يعرف ماذا يعمل.

ثمة خطوة مهمة تأتي في أعقاب حالة الضياع والتشتت هذه، وهي دفع «الفأر» للتخلي عن ارادته وتسليمها لـ «بواز» عبر الصدمات الكهربائية والايحاءات القادمة إليه من «بواز» نفسه.

بعد ذلك توجه «بواز» إلى فئرانه عن طريق صدماته ومنبهاته وايماءاته إلى قبول الأمر الواقع بعد أن وفر القابلية العنصرية ودفعها إلى اكتساب دوافع واتجاهات جديدة، جعلتها تنسى طبعها العريزي المديم وتقدم على الأكل في المنطقة المضيئة، وقد تم الفئران اكتساب هذا الطبع بعد أن وجدت بين غريزتها للطعام وحاجاتها للطعام واتجاهاتها لتناول الطعام في المنطقة المضيئة[1].

وهكذا انتصر «بواز» بتجربته على الفئران، حيث استطاع أن يدجنها لصالح أهدافه وأوامره ومخططاته.

★ ★ ★

في الوطن العربي توجد «بوازات» كثيرة، تتعدد جنسياتها وتتباين مخططاتها، ولكل واحد منهم أدواته ومخابره، لكن أهدافهم في النهاية تظل واحدة، وغاياتهم تظل محددة، هي إعادة تنظيم وتكوين عملية التخلي والاكتساب داخل شخصية المواطن العربي.

وعلى خطى «بواز» وفئرانه البيضاء، تسير النماذج «الموازية» في الوطن العربي، تطيع الأوامر وتنفذ التوجيهات، وتشكل أداة من أدوات تنفيذ مشروع استعماري متعدد الجوانب والوجوه والاقنعة.

وثمة أدوات وأسلاك كهربائية ومخابر لا تحصى تأتي من كل صوب، والمواطن العربي هو الصيد الثمين لهؤلاء العلماء الذين توظفهم أجهزة الاستخبارات العالمية، لخدمة الوجه البشع للحضارة الأوربية.

وعلماء الاستخبارات هؤلاء هم بدون شك لا يستهدفون سوى تحويل الإنسان العربي إلى مجرد ترس من التروس التي تلف دون كلل في آلتهم الاستعمارية البشعة، وهم يعرفون تماماً أن ذلك لا يتحقق بالدرجة المطلوبة إلا إذا تحول المواطن العربي إلى مجرد «فأر» من فئران «بواز» البيضاء، عندما يتخلى طائعاً عن بشريته وانتمائه وجذوره الحضارية، وأن يتوقف عن عملية اكتساب القسمات الحضارية الجديدة التي يحتاجها كأساس من أسس النهضة العربية، وكمنطلق من منطلقات صياغة مستقبل الأمة العربية وغدها.

إن مجاهداتهم تهدف إلى خلق الإنسان العربي، الفارغ المطواع الذي يصبح بقابليته الاجتماعية والنفسية جاهزاً للاكتساب والتخلي بموجب فاعلية وظائف العناصر الثقافية الآتية عبر الصدمات الكهربائية الثقافية التي يوجهها «بواز» القابع في أكثر من مكان ووجهة وموقع من الوطن العربي[2].

والمطلوب من المواطن العربي أن يكون ماثلاً وعلى الدوام للأوامر والنواهي والاتجاهات الصادرة إليه من أولئك الذين تولوا اعداده وصباغته للقيام بدوره الجديد، ولأن هذا النموذج «الموازي» الجديد سوف يكون مليئاً بعقدة النقص والدونية، فإن المكافأة الوحيدة هي اعطاؤه وسام الرجل المتحضر العصري ثمناً لاستسلامه، وإلا فما معنى اعطاء جائزة «نوبل» للسادات وما معنى هذا الاهتمام الفجائي بكتاب ظلوا سنين طويلة لم تنتبه لهم دور النشر العالمية، وفجأة صارت تترجم أعمالهم ويشار إلى مكامن العبقرية في هذه الأعمال الأدبية، بل ان جهوداً بدأت تبذل من أجل تأمين فوزهم بجائزة نوبل أيضاً. لماذا تهتم مؤسسات «بواز» الثقافية بكاتب مثل توفيق الحكيم أو نجيب محفوظ، أو حسين فوزي ويتم تقديمهم للعالم لأول مرة بمثل هذا الضجيج؟

لا شك أن الإجابة على مثل هذه الأسئلة لن تكون صعبة، فمثل هذه النوعيات من الكتاب، استطاعت أن تستجيب لصدمات «بواز» وتعليماته. وعندما يتحول كاتب إلى فأر من فئران «بواز» فإن طريقة جديدة ينبغي أن تتبع في الاهتمام به والاحتفاء بموهبته لأن هذا الاحتفاء هو فرح بنجاح التجربة

(١) عزيز دسب المسرح العربي من التحريض إلى التهريج، مجلة قضايا عربية دسمبر ١٩٨٠ ص ٩٩

(٢) المرجع السابق ص ١٠١

وبهجة بالوصول إلى النتيجة التي تعب « بواز » كثيراً في الوصول إليها، وهي أن يتحول الإنسان إلى فأر تجارب في معامل ومختبرات اجهزة الاستخبارات العالمية.

* * *

لقد دأبت مؤسسات « بواز » الثقافية على الاهتمام بمثل هذه التجارب وصياغتها على مهل، ولو فكرنا أن نقرأ تاريخ هذه المؤسسة واستعرضنا كيف نجحت في تطويع كثير من الأسماء البارزة في الثقافة العربية، لأصابنا الذهول. لأننا لم ننتبه إلى ذلك منذ أمد بعيد، بل ان هذه الركام الهائل من كتب النقد الأدبي الحديث لم تستطع ان تكتشف بذور الظاهرة « البوازية » في مسرحيات وروايات « توفيق الحكيم » كما لم تستطع أن تنتبه إليها في قصص وروايات نجيب محفوظ الذي لم ينل سوى التمجيد، بل ان أغلب النقاد لم يعجزوا عن الحديث عن التوجه التقدمي في انتاج الحكيم أو نجيب محفوظ، أو حتى طه حسين، لأن أحداً من هؤلاء النقاد لم يكلف نفسه عناء التوقف عند بعض المواقف التي سجلها هؤلاء والتي يمكن أن تضع مؤشرات واضحة لسقوط هذه الرموز الكبيرة في الأدب والثقافة العربية في فخ التجارب البوازية.

ولا شك أن اسم « طه حسين » أو « توفيق الحكيم » أو « نجيب محفوظ » يعني الكثير بالنسبة لتاريخنا الأدبي، لكننا قبل أن نعتبر « طه حسين » من ألمع الرموز في تاريخ الأدب العربي الحديث، على رأي غالي شكري[3] الذي يعتبر أن مجرد المناقشة في ما يمثله هذا الرجل لنا ولثقافتنا من قيم هو استدراج لنا إلى الوراء، فالحاضر والمستقبل ينتسبان إلى طه حسين وغيره من النهوضيين العرب، وأن أي ملاحظة حول هذا الرمز هي اظلام لعصر منير في تراثنا الحديث وتحطيم القمم التي بناها، وجرنا إلى نقطة الصفر كما لو كنا نولد ثقافيًا اليوم، هكذا يتحدث غالي شكرى عن طه حسين، ونحن نقول إننا قبل أن نصبغ الأشياء بلون عواطفنا، وقبل أن نتحدث عن طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وحسين فوزي وغيرهم كثيرون تمثل هذه اللهجة التي لا ينفرد بها غالي شكري، بل هي ديدن غالبية من يشتغلون بالنقد الأدبي مع الأسف الشديد.

قبل ذلك كله لا بد أن نتوقف عند بعض الوقائع التاريخية التي شكلت مواقف بعض هؤلاء الكتاب الكبار. وفيما ظلوا هم صادقين مع أنفسهم ككتاب فراعنة ظل النقد العربي الحديث يقرأهم بصورة مختلفة صورة فيها الكثير من التضليل والمبالغة.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تستقطب الدكتور « طه حسين » الذي كان وما يزال يلقب بعميد الأدب[4] العربي والذي تتلمذ عليه كثير من الطلبة اليهود أمثال « اسرائيل ولنفسون » الذي أعد رسالة دكتوراه أشرف عليها الدكتور « طه حسين » وقد ركزت الرسالة على اظهار فضل اليهود على العرب، كما قام « طه حسين » بزيارة مدارس الطائفة الإسرائيلية في الاسكندرية عام ١٩٤٤، وكان على رأس مستقبليه « الحاخام الأكبر » - فنتورا - وألقى « طه حسين » محاضرة أبرز فيها علاقة اليهود الايجابية بالأدب العربي وقد استثمرت الصحف الصهيونية هذه المحاضرة وأبرزتها في صفحاتها الأولى. وجاءت الخطوة الكبيرة باسناد رئاسة تحرير مجلة « الكاتب المصري » إلى طه حسين، هذه المجلة صدرت في أكتوبر ١٩٤٥ بتمويل صهيوني من أسرة « هراري » وأخذت الطابع الثقافي، وقد لعبت هذه المجلة دوراً خطيراً في الدعاية غير المباشرة للحركة الصهيونية وقد كان يكتب في المجلة ذاتها نفس الكتاب الذين جندوا أنفسهم ليكونوا أبواقاً لسياسة السادات وكان من أبرز كتاب هذه المجلة الصهيونية « توفيق الحكيم » والدكتور حسين فوزي، هؤلاء الذين ما ان تمت زيارة السادات للقدس (زيارة القدس المحتلة) حتى استيقظت نزعاتهم الفرعونية من رقاد طويل، وأصبح من الممكن لمصر أن تكون (كسويسرا) محايدة بين العرب واسرائيل « توفيق الحكيم » وأن تكون القومية العربية كالصهيونية كالنازية نظرية عرقية مدمرة للاقليات « يوسف عوض » وأن يصبح اغتصاب فلسطين نضالاً ينبغي أن يحترم لأن الصهاينة ظلوا (٢٠٠٠) سنة يناضلون من أجل العودة إلى وطنهم « نجيب محفوظ ».

بل وأصبح الإسلام نفسه، ضد الأمة العربية والقومية العربية. (الشيخ الراحل عبد الحليم محمود والشيخ الحالي للأزهر عبد المنعم النمر .فالقومية العربية لدى هذا الفريق مؤامرة استعمارية ضد الوحدة الإسلامية. ولم يتكرم هؤلاء بالقول ما إذا كانت هناك مؤامرة صهيونية ضد العرب والمسلمين أم لا[5] لقد ساروا إلى آخر شوط واستخدموا القرآن الكريم لتبرير خيانة السادات. استخدام شيخ الأزهر للآية الكريمة.. «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » لتبرير معاهدة الاستسلام.

* * *

قبل ذلك كان « طه حسين » قد أصدر كتابه الذي ما زال يحظى بتمجيد الكتاب العرب. وهو « مستقبل الثقافة في مصر ». في هذا الكتاب أعلن طه حسين بشكل واضح أن مصر تنتمي إلى حضارة البحر الأبيض المتوسط. وأن حضارتها اوربية في واقع الأمر وكان الكتاب يقدم تصوراً لنظم التعليم والثقافة يستهدف « أن نسير سيرة الاوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم انداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها ويكره وما يحمد منها وما يعاب » على حد ما جاء في النص الحرفي من كتابه المذكور.

إن طه حسن يقبل على الحضارة الغربية، بخيرها وشرها بما يعاب فيها وبما لا يعاب، مما يجعلنا نعتقد أنه لم يسع إلى تقليد شامل. لم يفكر حتى في عملية انتخاب ولم يحاول الوصول إلى

(٣) د عالى سكرى، اىهم برقصون لىله رأس السىه، دار الآفاق الحدىده. الطىعه الأولى ١٩٨٠ ص ٥١٦

(٤) د. عواطف عىد الرحمى/ الصحافه الصهيوىيه فى مصر مى سىه ١٨٩٧ حى ١٩٥٤/ دار الىماقه الحدىده

(٥) د. عالى سكرى، المرحع السابو ص ٥٢١.

صياغة جديدة تستفيد من حضارة الغرب بما يوافق الظروف الموضوعية للواقع الاجتماعي المصري.

ونحن لن نستطيع فهم مثل هذه المواقف إلا إذا قرأنا أدبيات تلك الفترة، ووجدنا أن « طه حسين » لم يكن صوتاً منفرداً، بقدر ما كان نغمة في لحن عام مميز، لقد كان استاذه « لطفي السيد » يقول إن الاستعمار البريطاني يستطيع أن ينقذ مصر وينقلها إلى العصر الحديث، لقد كان أيضاً يطالب بالاتجاه إلى المصادر الأصلية التي اعتقد أن اوربا قد نهلت منها فترجم إلى العربية بعض كتب أرسطو، الأمر الذي لا بد أن يذكرنا بعد ذلك باهتمام طه حسين بترجمة بعض المسرحيات اليونانية القديمة والحديثة عن ذلك الأدب في كتاب كامل ظل مقرراً على طلبة المدارس الثانوية لفترة طويلة، فضلاً عن عنايته الشديدة بتدريس اللغة اليونانية واللاتينية في كلية الآداب أثناء عمادته لها.

« والحقيقة أنه عندما كانت السفارة البريطانية تحكم مصر فإننا نكون من السذاجة حين لا نفكر قليلاً أو كثيراً في أنها كانت تجد وسائل متعددة لتشجيع هذا الاتجاه الفكري أو ذلك، وأنها كانت تتدخل إلى حد ما في صياغة اتجاهات الرأي العام »[٦].

لكن ذلك لم يكن بطبيعة الحال أمراً وقتياً أو مرحلياً بقدر ما كان جهداً استعمارياً متواصلاً يستهدف الإنسان العربي، ثقافته وانتماءه، الأمر الذي يذكرنا بمؤتمر « التعايش العربي اليهودي » الذي أقيم في المانيا الغربية بعد فشل لقاء الاسماعيلية بين بيغن والسادات، وقد دعي إلى جانب بعض المدعوين من مفكري غرب اوربا والولايات المتحدة المعروفين دائماً بالانحياز لاسرائيل وفي مقدمنهم « هنري كسينجر » بعض الاساتذة العرب في جامعات اسرائيل واوربا الغربية وامريكا وكذلك بعض الأدباء والكتاب والباحثين العرب في الاقطار العربية منهم: محمد سيد أحمد ولويس عوض، وبطرس بطرس غالي، وحسين فوزي، ويوسف أدريس، وشارل مالك، وغسان تويني، ومجدي وهبة، وسيد ياسين، ويوسف الخال، وفؤاد زكريا، وابراهيم النجار، وبدوي عبد اللطيف ».

ومن الطريف أن بطاقة الدعوة التي ارفقت بقائمة المدعوين، قد حددت أسماءهم الثلاثية وأحياناً الرباعية التي قد تختلف فعلاً عن اسماء الشهرة وبجانبها نوع العمل والعنوان، مع ملاحظة تقول ان برنامج الحوار « مفتوح » أي بعبارة أخرى ليس هناك جدول أعمال، ولا بد من الملاحظة الدقيقة على هذه التفاصيل الهامشية، لأن دراستها بعمق توحي بالجهة الحقيقية الداعية للمؤتمر والهدف الحقيقي من انعقاده[٧].

« وعلينا حين يجب أن نتذكر التاريخ، أن نتذكر مثلاً مؤتمر روما للأدب العربي الحديث عام ١٩٦٠ الذي جمع بين الوجوه اللامعة المتمردة في أدبنا جنباً إلى جنب مع بعض الوجوه اليهودية والامريكية، وكان المؤتمر برعاية ماسمي « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » التي كانت تصدر مجلة « حوار » في بيروت، وسرعان ما كشفت المخابرات الامريكية أوراقها شبه الدورية، وأعلنت أنها تمول هذه المنظمة العالمة لحرية الثقافة، ومجلاتها في اللغات المختلفة ومن بينها (انكاوتر) الانكليزية و « حوار » العربية، و علينا أن نذكر « مؤتمر الأدب العربي الحديث » الذي عقد في واشنطن في صيف عام ١٩٧٦ وجائزة الرواية التي اسستها شركة « موبيل اويل » هكذا (مباشرة لا احدى الجامعات الامريكية مثلاً) علينا أن نتذكر كثيراً ونقرأ تاريخنا الأدبي بعمق لنكشف أن عملية غزونا مستمرة، تتخذ أشكالاً متعددة وصيغاً متباينة.

لكن أخطر أشكال هذا الغزو هو احياء التيارات الانعزالية ومحاربة المد القومي، ويخيل إلي أنه من المناسب أن نعطيها حيزاً في هذا البحث.

التيار الانعزالي:

لا شك أن ظهور الاتجاهات والتيارات الانعزالية في الأدب والفكر، يشكل مظهراً من مظاهر الغزو الثقافي المضاد، ذلك أن مثل هذه الاتجاهات حققت أوج ازدهارها عندما كان الاستعمار العسكري يبسط نفوذه بشكل كامل على الوطن العربي، حيث استطاع هذا الاستعمار أن يمزق الوطن ويقسمه إلى أجزاء تفصل بينها حدود وفواصل مرسومة، كما حاول أن يزرع بذور الفتن والتناحر بين هذه الدويلات القزمية التي أوجدت الكثير من الشروخ في جسد الوطن الكبير، لقد أخذ الاستعمار يغذي مفاهيم التجزئة وينمي كل الدعوات الانفصالية في حين راح يمزق الترابط القومي مستنداً إلى نظريات هشة تعتمد على إحياء الأساطير القديمة غير العربية، والكشف عن الآثار المدفونه في باطن الأرض في المناطق العربية المختلفة، ولم يكن ذلك بهدف الكشف عن تاريخ هذه المناطق الموغل في القدم كما لم يكن ذلك خدمة للعلم والمعرفة والبحث العلمي، بقدر ما كان مخططاً يهدف إلى ترسيخ مبدأ التجزئة بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد، بالتأكيد على الانتماء إلى شعوب قديمة بائدة.

« لقد حاول أن يبرز تاريخ « الحبشيين » في سوريا الشمالية بشكل مسطح ليؤكد على انتماء السوريين لا إلى العرب وإنما إلى ذلك الشعب البائد ».

وكذلك فعل في بلاد ما بين النهرين إذ جاء بالمعطيات العلمية والتاريخية ليوهم الشعب العربي في العراق على أنه من سلالة هذا الشعب البابلي أو السومري اللذين كانا يعيشان في بلاد الرافدين منذ ثلاثة الآف سنة[٨].

في ليبيا تزعم « عبد الحميد البكوش » في منتصف

---

(٦) أمد عماس صالح/ الأدب الانعزالى فى مصر/ اتحاد الكتاب العرب دمسق ٩٧٩ ص ٦.

(٧) د. عالى سكرى، المرجع السابق ص ٣٧٣

(٨) عبد الرحمن عمار. البعد القومى للأدب العربى، مجله الآداب البيروتيه العددان الثامن والتاسع، أغسطس وسبتمبر ١٩٧٩

الستينات وعندما كان رئيساً للوزارة في العهد الملكي، تزعّم الدعوة إلى ما سماه بالشخصية الليبية، ومع الأسف فقد وجد كثيراً من المنظرين من اساتذة الجامعة الذين أخذوا يحيون الأساطير القديمة ويتحدثون عن أمجاد « جرمة » وعظمة « صبراته » وعبقرية « سبتيموس سيفروس » أما في مصر فقد كانت الدعوة إلى الانتماءات القديمة أحدّ وأخطر، حيث برزت الدعوة للقومية الفرعونية بشكل مركز وخاصة حين راح يؤيدها ويعمل من أجلها كثير من مثقفي مصر في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن.

ولم تكن هذه الدعوة مفصولة عن المخطط العام للغزو الثقافي الاستعماري، لقد كانت جزءًا من توجه عام كانت القوى الاستعمارية تسعى إليه من أجل أن يتحقق لها الهيمنة والسيطرة على مقدرات الشعب العربي واقتصادياته والتمكين من زرع العنصر الصهيوني واستيطانه، وترسيخ جذوره في فلسطين العربية، وخلق الكيان الصهيوني الغاصب. ليكون السوط الذي يلهب الظهر العربي كلما بدت هناك بارقة نهوض وتكوين جديدة، ومما يدل على ذلك ما ذكره الدكتور محمد محمد حسين في كتابه: « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » من أن الثري الامريكي اليهودي الأصل « روكفلر » قد أعلن عام ١٩٢٦ عن تبرعه بعشرة ملايين دولار أمريكي لانشاء متحف للآثار الصهيونية في مصر يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن واشترط لمنح هذه الهبة أن يوضع المتحف والمعهد تحت اشراف لجنة مكونة من ثمانية أعضاء ليس فيها إلا عضوان مصريان، على أن تظل هذه اللجنة هي المسئولة عن ادارة المتحف والمعهد لمدة ثلاث وثلاثين سنة. وقد كان واضحاً من تحديد المليونير الصهيوني الاشراف على هذا المعهد، مدة ثلاث وثلاثين سنة أنه يهدف إلى خلق جيل من المتعصبين للفرعونية ثقافياً وسياسياً ومصلحة الصهيونية في ذلك واضحة لأنها إذا نجحت في سلخ الدول العربية عن عروبتها تجنب اليهود كل معارضة لاحتلالهم فلسطين[٩].

وقد كانت مجلة « السياسة الأسبوعية » لسان حال هذا الاتجاه الانعزالي حين تبنت تلك الأفكار صراحة وعملت من أجلها، وذلك في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، وعلى صفحاتها نشر بعض الأدباء بياناً بعنوان: « دعوة إلى خلق الأدب القومي » يدعون فيه إلى خلق أدب محلي يتميز بالطابع المصري، وقد بسط « محمد زكي عبد القادر » أحد أعضاء المجموعة أهداف هذه الدعوة في أحد أعداد المجلة بتاريخ ١٢ يوليو ١٩٣٠ قال فيه:

« الأدب المصري الذي نعنيه إنما هو أدب محلي يصور الحياة المصرية والقومية المصرية وحدها ».

أما عبد الله عنان فقد كتب في ملحق السياسة سنة ١٩٣٢ يوضح القومية المصرية بقوله:

« من الخطأ البين أن تنظم مصر في سلك البلاد العربية إذا تعلق الأمر بالناحية القومية. فالقومية المصرية قومية أثيلة، وقد وجدت القومية المصرية منذ أقدم عصور التاريخ، واقترن اسمها بحضارة من أقدم الحضارات ولم تفقد الأمة خواص الوحدة والتجانس منذ أيام الفراعنة ».

ويقول بعد ذلك:

« فهذه القومية المصرية الأثيلة هي التي تستظل مصر بلوائها اليوم، وهذه المصرية هي في الواقع دعامة شخصيتنا القومية، فلسنا نعرف كيف ينكرها علينا بعض أخواننا العرب ».

★ ★ ★

وهكذا اتجه الأدب في مصر من خلال التيار الذي نتحدث عنه إلى احياء الفرعونية باعتبارها الأصل المصري الصحيح ولم يكن غريباً أن يكون أول عمل أدبي يكتبه « نجيب محفوظ » هو ترجمة كتاب عن مصر القديمة، وأول ثلاث روايات عن الفترة الفرعونية هي « رادوبيس، كفاح طيبة، عبث الأقدار » ولعل هذا يفسر لنا إلى حد كبير مواقف نجيب محفوظ الأخيرة من قضية العرب المصيرية « فلسطين ». إذ أخذ يتحدث عن فلسطين كما لو كانت شيئاً لا علاقة له به، لسبب واحد وهو أن هذه القضية تطرح على أساس أنها قضية عربية، ومن أجل ذلك فقد اختار أن يقف في صف الصهاينة، عندما أكد في حديث له نشرته صحيفة السياسة الكويتية أنه يحترم شعب « اسرائيل » على حد تعبيره، لأنه ظل يكافح (٢٠٠٠) سنة حتى استعاد أرضه؟!!

ولم يكتف بذلك بل سمح لنفسه أن يفلسف للفلسطينيين مشروع الاستسلام والهزيمة الذي يسعى إليه نظامه السياسي المهزوم. وكأن الشعب العربي الفلسطيني مجرد شعب من الأطفال القصر الذين يحتاجون لحكمة « نجيب محفوظ » واجتهاداته الصهيونية.

إنه يدعو الفلسطينيين إلى القبول باستقلال ذاتي في حدود الدولة الاسرائيلية - على حد تعبيره - أي دولة لا مستقلة ولا تتبع الاردن، وهو يبرر ذلك بأنهم - أي الفلسطينيين - حين يكونون في نطاق دولة اسرائيل فسيكونون دولة أخرى. أما الأسباب التي من أجلها ينصح بأن تكون هذه الدولة الفلسطينية تابعة « لاسرائيل » وغير تابعة للاردن فهي أن الاردن دولة رجعية ولذا فإن نمو الدولة الناشئة سيكون محدوداً. أما الاسرائيليون فإنهم متحضرون!!

أليس هذا وجهاً صهيونياً مفضوحاً ولا يحتاج إلى أي جهد للتدليل عليه؟ أليس هذا تثبيتاً للكيان الصهيوني الغاصب باعتباره النموذج المتحضر في المنطقة ومن ثم فإن عليه أن يستولي على جميع الأراضي العربية ويضمها إليه، باعتبارها انظمة رجعية ومتخلفة ومن واجب هذا الكيان المتحضر أن يندفع بها إلى ركب الحضارة عندما تصبح تابعة له؟

وهل يأتي هذا الكاتب الصهيوني الجديد باكتشاف جديد،

---

(٩) نفس المرجع السابق.

عندما يردد هذه الآراء التي يسمعها من الصهاينة ومن الأنظمة الاستعمارية التي زرعت ودعمت الكيان الصهيوني في قلب الأمة العربية؟!

إن كل ذلك يؤكد لنا أن «كتيبة تطبيع العلاقات المصرية الصهيونية التي بدأت حركتها على مستوى الثقافي والفكري يتقدمها توفيق الحكيم وحسين فوزي ونجب محفوظ، مستندة إلى التيار الانعزالي القديم، آخذة معها أصحاب المواهب الهزيلة مثل ثروت أباظة، واحسان عبد القدوس، وأنيس منصور، وغيرهم، هذه الكتيبة كانت بشكل واضح أداة من أدوات الغزو الثقافي المضاد للأمة العربية، لأن هذا الغزو لم يكن يتم اعتباطياً وكيفما اتفق بل كان يتم وفق خط محدد ومرسوم بدقة. بحيث يصل في النهاية إلى تحقيق أهدافه التي تتجه إلى تقزيم الأمة العربية وتجزئتها وتشتيتها، وتحقيق سيطرة الكيان الصهيوني الغاصب على كامل التراب الفلسطيني وتحقيق أطماعه التوسعية في الوطن العربي.

إلا أن أكثر من ثلاثين عاماً من الاحتلال الاستيطاني لفلسطين العربية لم تستطع أن تثبت أركان الكيان الغاصب رغم الدعم الاستعماري المستمر، فقد واجه الكيان الغاصب أربع حروب أنهكت قواه وزلزلت أركانه ودعائمه.

ولملم الشعب العربي الفلسطيني جراحه لتولد الثورة الفلسطينية التي ما زالت صامدة رغم المؤامرات والخيانات تقدم الدليل على أن هذا الشعب سوف يستمر في الصمود ولن يعرف الانحناء طريقه إلى قامته ولا الاستسلام سبيله إلى أعماقه، وإزاء كل ذلك كان لا بد للحركة الصهيونية أن تفكر في مخطط جديد، ولم يكن هذا المخطط الجديد سوى مشروع الاستسلام الذي نفذه نظام السادات العميل بكل تفاصيله، ولست محاولاً التوسع في شرح معنى خيانة السادات، وأركان نظامه، فقد أدانه كل الشرفاء واتفقوا على أن ما قدمه لم يكن سوى تدشيناً لاستقرار الكيان الغاصب ودعماً لاستمراره بتحويل الاحتلال إلى امتلاك وذلك من خلال تحويل الكثافة السكانية العربية إلى كثافة يهودية - هجرة ومستوطنات.

ولكن ثمة حقيقة تقف بكل ثقلها في طريق المستعمرين الجدد وهي كيف يمكن أن تصبح كل مخططاتهم أمراً واقعاً مقبولاً ومعترفاً به.

إن ذلك لا يتحقق إلا إذا نفذ برنامج يستهدف غسل دماغ المواطن العربي. واستلاب الشخصية العربية وشل وعيها وافراغها من كل موروثاتها الحضارية والثقافية لتصبح أخيراً شخصية هزيلة خاوية مهيأة لالتقاط كل ما يلقى اليها من أفكار ومفاهيم مشوهة لا تبقي أمامها غير خيار واحد هو قبول الوجود الصهيوني بارتياح واقتناع، ومن ثم الدور الموكل إليه من قبل الاستعمار في الوطن العربي. وبالتالي اسكانة الجماهير العربية لقدرها المرسوم، كعنصر استهلاكي متخلف لا دور له في هذه الحياة غير أن يرتدي من اللباس ما تنتجه معامل الصهيونية والاحتكارات الرأسمالية الاستعمارية من الاجهزة والادوات اليومية، بحيث يظل يستعمل ما تنتجه معامل العدو ومؤسساته الاقتصادية والثقافية حتى يموت أو يسقط أو يخون.

إلا أنه تظل هناك عقبة أمام العدو لا يمكن اغفالها، فطالما كان حملة الفكر الصهيوني ودعاته، كتاباً صهاينة، أو كتاباً غير اسرائيليين ولكنهم ليسوا عرباً فإنه من غير المؤمل أن تحقق الغزوة الثقافية الصهيونية نجاحاً كبيراً وبالنتيجة يظل مصير المشروع الصهيوني الاستعماري مهما طـــال الزمن، الفشل والانهيار.

وهكذا أخذت الصهيونية تخطط لتمرير المفاهيم والقناعات الصهيونية إلى الإنسان العربي عن طريق استقطاب بعض الكتاب العرب الذين يؤثرون في قطاع واسع من القراء العرب.

وإذا كانت القناعات الصهيونية قد وجدت طريقها إلى التنفيذ عبر استقطاب الرئيس المصري المهزوم وتحويله إلى ناطق رسمي باسم الاطماع الصهيونية في الوطن العربي. إذا كان الأمر كذلك على المستوى السياسي فإن هذه القناعة نفسها قد بدأت فيما يبدو تشق طريقها إلى حيز التنفيذ على المستوى الفكري باستقطاب كتاب كبار وتحويلهم إلى معبرين عن فكر الصهيونية أو بمعنى آخر بدفعهم إلى كتابة أدب صهيوني بأقلام عربية وهو ما انساق إليه كتاب من أمثال نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهم من جنود كتيبة تطبيع العلاقات المصرية الصهيونية.

* * *

هذا كله يضع الأمة العربية بأسرها في مواجهة عدوها الحقيقي المتربص بها على مدى التاريخ، تضعف قوة من قوى الاستعمار أو يتزعزع ذيل من ذيوله، وتنهار دعامة من دعاماته. لكنه لا يرعوى ولا يكف عن مواصلة غزواته التي تستهدف الإنسان العربي، ففشل مخطط من المخططات لا يثنيه عن عزمه، إذ سرعان ما يواصل تنفيذ مخططاته العدوانية بالأدوات والدعائم الباقية، لا يتوقف ولا يهدأ. انهارت بريطانيا فأصبحت مجرد دولة عجوز تعاني مشاكل شيخوختها، وأخذت فرنسا تبحث عن سبل أخرى للحفاظ على هيمنتها ونفوذها دون أن يستطيع أحد كشف خواءها من الداخل وانهيار قواها، وأصبح الدور كله لزعيمة الامبريالية «أمريكا» لمؤسساتها وترساناتها العسكرية المهزومة في «فيتنام» وأحقادها التاريخية على كل الشعوب ذات الاصالة الحضارية. واعتمادها في فرز سمومها على المرتزقة من كافة الاصقاع.

سبل أخرى للحفاظ على هيمنتها ونفوذها دون أن يستطيع أحد كشف خواءها من الداخل وانهيار قواها، وأصبح الدور كله لزعيمة الامبريالية «أمريكا» لمؤسساتها العسكرية المهزومة في «فيتنام» وأحقادها التاريخية على كل الشعوب ذات الاصالة الحضارية. وأعتمادها في فرز سموها على المرتزقة من كافة الاصقاع.

وهكذا فإن مواجهة هذا الاخطبوط الاستعماري الذي تتزعمه «امريكا» هو قدر الأمة العربية وهو معركتها الخالدة والمستمرة، حتى يتم الانتصار الذي لا بد أن يتحقق لأنه سوف ينهي مرحلة كاملة بشعة كانت تجر ذيول الانحطاط. ويفتح

الطريق أمام طاقات الجماهير العربية من أجل أن تؤدي رسالتها الخالدة على المستوى القومي والإنساني، مبشرة بعصر جديد تنمحي فيه كافة العلاقات الإنسانية الظالمة وتتحقق من خلاله دولة الجماهير العربية وتنهار عند بزوغ فجره كل قلاع الطغيان والاستعباد. ومن أجل ذلك فإن هذه المعركة التي تواجه فيها الأمة العربية عدوها مواجهة تحمل مقومات جديدة تشير إلى يقظة الجماهير العربية وتفتح وعيها وادراكها لما يدور حولها، ونضالها المستمر من أجل تحقيق وحدتها وجمع صفوفها واكتساح كافة العوائق التي وضعها الاستعمار في طريق زحفها العظيم.

ولعل هذا يفسر لنا لماذا فقدت قوى الاستعمار أعصابها حتى وصلت إلى مرحلة استعراض ترسانتها المسلحة مهددة بالغزو المسلح بعد أن أيقنت أن أساليب الغزو الفكري قد انهارت أمام صمود الإنسان العربي وإيمانه بأمته وبدورها التاريخي في إثراء الحضارة الإنسانية.

لقد أيقنت قوى الاستعمار أنها تواجه الجماهير العربية، وقد تعودت أن تواجه حاكماً أو حكومة أو مؤسسة سياسية من السهل عليها تغييرها، أما ثورة الجماهير فأمر جديد يجبرها على إعادة حساباتها.

* * *

من أجل ذلك كله فإن هذه المعركة هي نداء للثقافة لكي تضع ثقلها في معركة الحق العربي الواضح ولكي تكشف كل الأقنعة حتى يتعرى الاعداء من العملاء والخونة أمام الجماهير العربية أمام صوت الحق والحقيقة.

وقد كانت هذه وما تزال المهمة الأولى للثقافة العربية ودورها التاريخي في هذه المرحلة من حياة الأمة العربية، فالثقافة العربية التي تقدمت حركة النهضة العربية منذ نيف وقرن كانت تجد نفسها دوماً أمام قدر تاريخي بأن تكون خدين المعركة وفي كل معركة تخوضها الأمة العربية. كانت الثقافة إلى جانبها تجتاز امتحاناً قاسياً وتكتشف على أرض المعركة المقاييس الصحيحة للعديد من المفاهيم التي تشكل أسس النهضة.

وإذا كان المثقف العربي قد تعثر في فترة من الفترات وتحول إلى مجرد إنسان هامشي بدون تأثير أو فعالية لأن الانظمة السياسية أو الاطر الحاكمة قد جمدت فعالياته وقيدت انطلاقته وأرهبته بزنزاناتها ومعتقلاتها تارة، وأغرته بكافة المغريات تارة أخرى، إذا كان الأمر كذلك في مرحلة من المراحل فإن على المثقف العربي أن يستيقظ على زحف الجماهير العربية وأن يتخلص من قيوده ليلتحق ويلتحم بالجماهير التي تناضل من أجل اكتساح كافة المظالم التي كانت تحد من انطلاقة الإنسان العربي وتغتال طموحاته وأحلامه.

لقد خاضت الأمة العربية مجموعة من الحروب الطويلة والقاسية مع الكيان الصهيوني الحاقد ومع الامبريالية الامريكية، التي تبنت هذا الكيان وغرسته في جسم الأمة العربية، ومع خطورة هذه الحروب ومآسيها وما تكبده المواطن العربي في سبيلها، فإن الأدب العربي لم يستطع أن يصبح في السنوات الأخيرة ضمير هذه الجماهير المقاتلة، وبصورة أكثر دقة لم يكن على مستوى الأحداث الجارية في الوطن العربي. إذ كيف تخوض أمه أربع حروب في ربع قرن ويطرد شعب بأسره طرداً جماعياً بالإرهاب والدم لتحل محله شراذم مهلهلة جمعت على دفعات من أطراف العالم، كيف يحدث هذا لأمة ما دون أن يزلزل أدبها وينتشله من رقدته الداعمة المتواكلة؟[11] وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي يستطيع أن يجيبنا على هذا السؤال المحدد:

كم كاتب من كتاب الحماسة المنبرية وهواة الشعارات ترك حياته الناعمة المطمئنة وأحاديث الصالونات والمقاهي والتحق بحياة المناضلين بالدم والنار وجرب الكتابة وسط المعارك؟

إن أقصى ما فعله كتابنا هو الذهاب برحلات استعراضية سياحية لجبهات القتال في حالات توقف القتال بالطبع. أو المرابطة في حجرات التسجيل بالاذاعة لصياغة الخطب الحماسية والقصائد العصماء.

* * *

وهكذا يمكن أن نخلص في نهاية المطاف إلى أننا لا يمكن أن نحدد آفاق تطور الثقافة العربية الراهنة في مواجهة أشكال الغزو الثقافي المضاد إلا إذا حددنا موقفنا من الثقافات الرجعية السائدة.

فكل ثقافة لا تعبر عن طموح الإنسان العربي المناضل ضد الاستعمار والصهيونية وحليفتها الرجعية، كل ثقافة لا تقف ضد كل ألوان ودرجات وأشكال التبعية والذيلية والاحتواء هي ثقافة معادية للثورة وللجماهير العربية المناضلة.

وكل ثقافة تحبذ أو تبرر أو تدعو للتجزئة الاقليمية ولا تتبنى بصيغة من الصيغ أو بصورة من الصور استراتيجية الوحدة العربية الشاملة هي ثقافة معادية للثورة العربية وللأمة العربية.

وكل ثقافة تحبذ أو تبرر أو تدعو للجمود والسكون والثبات وتضع مصير المجتمع والإنسان في يد الطغاة والمستغلين هي ثقافة معادية للثورة العربية وللأمة العربية.

وكل ثقافة تحبذ أو تبرر أو تدعو للتجهيل والتخلف واليأس والعدمية واللامبالاة والسلبية، وكل ثقافة لا تكون تحريضية تناضل من أجل حرية الإنسان العربي وانتصاره، هي ثقافة معادية للأمة العربية.

* * *

وبعد ذلك كله نستطيع أن نقول بأننا في أشد الحاجة إلى استشراف آفاق جديدة للثقافة العربية، وأن نتجاوز هذه الابداعات السلبية الضحلة التي لا تصور حقيقة مجتمعنا، ولا تعكس تطلعات امتنا ولا تعالج نواحي النقص فينا، ولا تلهمنا

(١٠) صحيفة السياسة الكويتية لقاء مع نجيب محفوظ وبعض المثقفين المصريين

(١١) أحمد محمد عطيه/ الالتزام والثورة في الأدب العربي الحديث/ دار العودة، بيروت، دار الكتاب العربي، طرابلس طبعة أولى ١٩٧٤ ص، ٥، ٦.

فكراً جديداً يفجر طاقاتنا وابداعاتنا وامكانياتنا، ولا تضع يدنا على حقائق جديدة ومثل جديدة، ومعاني جديدة وقيم جديدة، ولا ترتفع بأخلاقنا وكرامتنا وعزمنا وتصميمنا إلى الذروة التي يجب أن نصل إليها - بحكم الظروف والأحداث - والمواجهة السافرة بيننا وبين أعدائنا. أن أكثر هذا الأدب لا يحلل ولا يقيم ولا يلم، بل هو مجرد استحلاب بشع للهموم الفردية وردود الفعل الذاتية، والاستلاب المقيت الذي يجعل منه مجرد تكرار أو خضوع لمفاهيم ما أبعدها عن الالتصاق بواقعنا وما أشد عجزها عن التأثير في حياتنا.

لقد ترتب على هذا كله، هذه الموجه العارمة مما يمكن أن نسميه بـ «ثقافة الردة» إن جاز لنا أن نسميها كذلك، كما ترتب عليها هذه الدوامة من الاتجاه إلى التجريب والتغريب. وهذه المراوحة بين الخطأ والصواب والبلبلة التي يقع فيها المثقف العربي وتقع فيها الثقافة العربية. الأمر الذي لا يمكن أن ينتج عنه سوى السقوط والهزيمة والاندحار على «المستوى السياسي في البراغماتية اللامبدئية، وعلى الصعيد الثقافي والحضاري. في الانتقائية التي تنطوي على «النقائص»[١٢] وفي غياب الثقافة التي تضع الجماهير في قلب تجربتها وتناضل من أجل قضاياها وترتبط بها مصيرياً، في غياب المنهج الجماهيري الذي يتجاوز كافة الأطر التقليدية التي تعتمد على العشائرية ونظم «القلة» السياسية في غياب كل ذلك تصبح البلاغة السياسية هي مراعاة مقتضى الحال. وهكذا شهدنا هذا التراوح بين اليمين واليسار سياسياً، وواجهنا أحداث منجزات التكنولوجيا في خدمة التخلف ثقافياً وحضارياً.

إن استشراف آفاق جديدة للثقافة العربية يتطلب إعادة بناء العقلية العربية ودراستها دراسة جادة وعميقة حتى نتعرف على مختلف نواحي القوة والضعف فيها.

إن عملية النقد وحدها لا تكفي، والعالم المتحضر كله يدرس نفسه، ويقوم شخصيته، ويتعرف على دخيلة مجتمعه عن طريق الدراسة العلمية، نفسياً واجتماعياً وفلسفياً وسياسياً وعسكرياً وتاريخياً، وربط ذلك كله بما هو واقع مشاهد، ان هذه الدراسة سوف تعطينا صورة متكاملة - لما ينقصنا - ولما يجب علينا في نفس الوقت أن نقوم به أو نبتعد عنه أو نعالجه. نعم يجب أن تخلص عقولنا مما علق بها من عصور الاستعمار والتخلف الفكري والحضاري، وأن نكون صادقين مع أنفسنا لنصدق بالتالي مع التزامنا بقضايا ومصير امتنا وأن نعري واقعنا - لأن الأديب ضمير شعبه - ولأن تحرير الذات العربية يتطلب موقفاً جاداً من النقد البناء الذي يقوم على بناء المجتمع الأفضل.

إن بناء المجتمع الأفضل لا يقوم على الكلمات الرنانة الفارغة الجوفاء - التي تعودنا أن نقولها بمناسبة وبغير مناسبة - وإنما يقوم على انفعال يتأثر به مجتمعنا العربي وتبدو فيه الحياة قد تغيرت في كل شيء.. كما يحدث اليوم عند مجموعة الشعوب المناضلة التي ضربت أعظم الأمثال في التضحية والبطولة وحققت نصراً ساحقاً على كل أعدائها في الداخل والخارج.

فوزي البشتي

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

***

(١٢) أمير اسكندر، صراع اليمين واليسار في الثقافة المصرية، دار ابن خلدون الطبعة الأولى ١٩٧٨ ص ١٣